الكتابة والتواصل من دلالة الوضع إلى دلالة الإيحاء

Writing and Communication: From Denotation to Connotation

لبوخ بوجملين*
جامعة الحاج لخضر بباتنة - الجزائر
laboukh.boudjemline@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2024/05/12 - تاريخ القبول: 2024/05/22 - تاريخ النشر: 2024/06/30

الملخص:

كلُّ تواصل لساني هو محاولة لتأسيس مبدأ إنساني مُعلّل يسعى إلى إخراج الفرد من عزلته، ودمجه قسرا في شبكة العلاقات الاجتماعية القائمة على الوعي بضرورة الحوار والتعايش؛ ومن هنا تبدأ اللغة في ممارسة سلطتها المطلقة في تحديد طبيعة هذا التواصل وتمثلاته حينما تتكفل بتحويل العالم إلى أنساق من المفاهيم؛ فتنشأ بذلك مراتب المعرفة وتتبلور الأفكار، وتتحول حواراتنا الرتيبة الجافة بفعل النزعة البراغماتية إلى إبداع وفن وثقافة. وعكس تصوراتنا الساذجة لواقع الحياة، فإن علاقاتنا الحقيقية لا يمكنها أن تستمر إلا وفق ما تمليه سلطة الفهم التي تنشأ تبعا لإملاءات مرهونة بالفعل الثقافي المهيمن. إن الألفة الواقعة بين الراهن والمستقبل ترصعها ثلاثية الهوية واللغة والثقافة التي تتجلى بالكتابة؛ وعليه فالكتابة ليست مسألة صياغة لغوية فحسب، بل طريقة في التفكير والتحليل والوجود، النصي منه على الأقل، إنها شكل حضور الذات في اللغة والفكر، حضور يقوم على التأسيس لتأويل يعتمد الحرية الذاتية للقارئ في بناء النص؛ ولذلك فمن خطاب الكينونة إلى خطاب المأمول نتحدد للآخر.

الكلمات المفتاحية: الكتابة؛ اللغة؛ الفهم؛ المعنى؛ التأويل؛ الهوية؛ الثقافة.

* المؤلف المراسل: لبوخ بوجملين

Abstract:

Every act of verbal communication strives to establish a rational human principle that seeks to bring individuals out of isolation and forcibly integrate them into a network of social relationships based on awareness of the necessity of dialogue and coexistence. Language, therefore, exercises its absolute authority in defining the nature of this communication and its representations, transforming the world into frameworks of concepts. Thus, hierarchies of knowledge emerge, ideas crystallize, and our routine dialogues, driven by pragmatism, evolve into creativity, art, and culture. Contrary to our naive perceptions of life reality, our genuine relationships can only endure according to the authority of understanding dictated by cultural dominance. The affinity between the present and the future is adorned with the trinity of identity, language, and culture, manifested through writing. Therefore, writing is not merely a matter of linguistic formulation but a method of thinking, analysis, and existence, at least textually. It is a form of self-presence in language and thought, a presence that establishes interpretation based on the reader's autonomy in constructing the text. Hence, from discourse on existence to discourse on aspiration, we define ourselves to others.

Key words: writing; language; understanding; meaning; interpretation; identity; culture.

- مقدمة

الكتابة هي المخرج الأول من غياهب الوحدة، والعدول هو الكلمة المعبّرة عن هلامية التاريخ وامتداد المعرفة وعمقها؛ لأنه يعطي للكلام الذاتي القدرة على الانكتاب باسم الدراية والمعرفة الضائعتين في جرف الماضوية؛ ماضوية وتاريخية الإنسانية التي لا نجد لها أثرا إلا بين طيات المعرفة العليا والمعمقة، التي تقدّم مقروئيتها في علامات وإشارات خالدة داخل لغة الفرد.

إننا نترصد الكتابة النوعية قصد تجاوز محدوديتنا القاتلة وعدم مجاراة التلاعب بالكلمات المجحفة. وحدها موسوعيتُنا القادرة على إطفاء عطشنا المزمن للمعرفة، موسوعية تعضدها شرعية أدبية ومشروعية الكلمة الفاضلة المتولدة عن لغة متعالية تذيب جليد مفارقات الاختلاف والتعارض.

1. سلطة اللغة وسلطة الفهم

إن الظواهر اللسانية ينبغي أن تصنف من وجهة نظر الهدف الذي تتوخاه الذات المتكلمة في كل حالة على حدة، فإذا كانت الذات تستعمل تلك الظواهر بهدف علمي صرف أي التوصيل، فإن المسألة تكون متعلقة بنظام اللغة اليومية (نظام الفكر الشفوي) حيث لا يكون للمكونات اللسانية (الأصوات، عناصر الصرف) أي قيمة مستقلة، ولا تكون هذه المكونات سوى أداة توصيل. ولكننا نستطيع أن نتخيل أنظمة لسانية أخرى -وهي موجودة بالفعل- حيث يتراجع الهدف العلمي إلى المرتبة الثانية، مع أنه لا يختفي تماما فتكتسب المكونات اللسانية إذ ذاك قيمة مستقلة[1].

هناك لغتان تتوفران على دلالتين مختلفتين ومتعارضتين في المستوى النفسي: الدلالة الوضعية والدلالة الإيحائية؛ فالدلالة الأولى تُعيّن الشيء وتحيل العالم إلى نسق من المفاهيم: تُذوّق العالم وتموضعه لتضمن المعرفة؛ وأما الدلالة الثانية فتحيل على المعنى العاطفي: تُذوّق العالم وترسم الأثر الذي تتركه فينا الأشياء، تحيل إلى المعيش، إلى لحظات الوجود، وتعمل الدلالة الإيحائية في خط معاكس للدلالة الوضعية وذلك قصد إبطال التحييد الذي تلصقه الدلالة الوضعية بالأشياء.

عندما نتكلم عن اللغة، فنحن نتكلم عن الفطرة التي تزعم أن الأصوات والحركات قد تفجرت في صدر الإنسان الطبيعي بصورة لا إرادية بفعل تأثير

الحدوس، وبفضل وجود آليات سيكو-فيزيائية جاهزة فطريا، وأن هذه الأصوات السماعية والحركات كانت مفهومة بذاتها[2]. وأما حدها فأصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم بحسب ابن جني.

يقرّبنا هذا التأكيد على فطرية اللغة أكثر فأكثر من طابعها الفردي في صياغة الواقع كما هو مجسد، ولا أثر له خارج رهان اللغة. كما نجد أنفسنا أمام شيء مُعَد في جوهره لصالح مفهوم اجتماعي باعث للمنتَج الثقافي النابع عن نشاط تأويلي موجِّه للروابط الحضارية، فاللغة لا تؤسس نظرتنا للواقع فقط، بل تنظم عوالم المعنى المتنوعة التي تساهم في رسم ملامح الهوية الفردية والجماعية، "فإن اتفق أن لا يوجد للمعنى لفظ مناسب معتاد، فليُخترع له لفظ..."[3]، ومن هذا المنطلق، فإن الشكل اللغوي لا يطرح أية مشكلة البتة، ولكنه السياق الذي يحمل في ذاته درجات متفاوتة من الدلالات المتنوعة.

كما أن هذا لا يبعدنا عن تصور "بنفنيست" لعلاقة الذات باللغة، الذي يعتبر أن الذات لا تتشكل من حيث هي كذلك إلا باللغة وعبرها، وأن الذاتية في اللغة تعني قدرة الذات على أن تطرح نفسها في اللغة وتحضر فيها من خلال مجموع العلامات اللسانية الدالة على ذلك[4]. وعليه فهل اللغة بمظهرها الحالي كافية لتحقيق فعل تواصلي كامل عبر حملها للمعنى، أم أنها تشارك بشكل عميق في صناعة هذا المعنى في صورته النهائية؟ وماذا عن الكتابة؟

"اللغة كفاح مستمر بين الحاجة إلى التعبير عن المعقد من الفكر، والرغبة في الحفاظ على بساطة العبارة"[5]، من هذا المنطلق المفهومي الذي نستكشف من خلاله خفايا تشعّبات اللعبة اللغوية يمكننا أن نستدرج العديد من القضايا الراهنة المتعلقة بالفعل التواصلي المستمر عبر السلوك المتنوع النابع من عبقرية الفكر البشري منذ الحدث الكلامي الأول، هذا الحدث الحمال للشعلة الإنسانية، إذ أن اللغة في مستواها السطحي المتأتي لعامة الناس، تُظهر شكلا آنيا من طواعية الاستعمال إلى درجة يختفي معها المعنى في أبسط مظاهره.

"إن كل محادثة تستلزم يقينا أن يتكلم المتحادثان اللغة نفسها، فالمحادثة هي سياق تفاهم، وكل محادثة حقة تفترض إذن، أن نعير اهتماما لما يقوله الآخر، وأن

نعطي وجهات نظره حقها، ومن ثم أن نضع أنفسنا مكانه؛ بمعنى أن نسعى إلى فهم ما يقول، لا إلى فهمه هو"[6].

أن نتواصل فيما بيننا يعني أننا نؤكد حضورا نفسيا واجتماعيا وثقافيا، ونضع حدودا لوجودنا بواسطة الكلمات والنغمات والأشكال المتنوعة من العبارات الكاشفة عن ماهية الأفكار المتشابكة، لكن مكمن التحدي في كل ذلك هو أن نزاول لعبة المراوغة مع الكلمات للبحث عن التعبير الأمثل والأسهل؛ ضرب من التفتيش عن زخم التمايز والتمازج، بعيدا عن عجز العبارة وضيقها في مقابل الاتساع اللامتناهي للإشارة، ولكنه التمدد بالألفاظ، والاتساع بالفكرة الواضحة، وسط محيط ثقافي متواطئ مع خلود العبارة في فضاء المجاملات، وتجاوزا للحوار المستحيل.

إننا نتجاوب مع الفلاسفة والشعراء ونصغي إليهم باستمرار، ولكن هذا التجاوب المشترك لا ينهض دليلا على أننا نتجاوز انفعالاتنا، وانفعالاتنا مهمة، ولكن الانفعال متميز عن المعنى الوضعي.

في رحلة البحث عن فهم النص نحتاج إلى فهم ثلاثة مكونات: المكون التداولي والمكون الدلالي والمكون النحوي. يرتبط الفهم الدلالي بفهم وسائل نحو النص ارتباطا وثيقا. وأما الفهم التداولي المرتبط أساسا بالفهم الدلالي فإنه يتضح في معرفة نمط الفعل الكلامي، وينجم عن المعرفة المسبقة لشركاء التواصل حول التضمين الاجتماعي لفعل التواصل.

حسب كاسيرر فإن مفهوم الرمز (symbole)الذي يعني "الطاقة الفكرية التي بواسطتها يصبح مضمون معين من الدلالات الفكرية مرتبطا بعلامات حسية وواقعية متطابقة"[7] يؤدي إلى تأكيد صارم على التواطؤ الأبدي بين الفاعلية السلطوية للمنجز اللغوي والحاضر الثقافي المفتعل لتلبية الرغبة الجامحة لغرور الإنسان في الوصول إلى لحظة تجاوز الإبهام.

"يجب أن نربط قضية اللغة والتفسير بمعرفة أنفسنا معرفة أتم، أو البحث عن نظرة أعمق في حيوية الأشياء.. ولن نستطيع أن نقرأ الشعر والحكمة والتصوف ونشاط الروح إلا إذا فهمنا فهما أفضل النثر والنقاش العملي وشؤونهما المستمرة"[8].

إن الألفة الواقعة بين الراهن والمستقبل ترصعها ثلاثية (الهوية واللغة والثقافة) التي قد ترخص وقد تمنع حسب مزاج صيرورة الكتابة لقاء مؤجلا بين الإنسان وأناه

التائهة وسط شهوة الانعزالية التي ترسمها سطوة الاغتراب، والذاتية المتعالقة بنرجسية الكلمات التي تحرر وتقيّد جموح الإنسان الباحث عن الحدود الفاصلة بين الكتابة وألم الكينونة، والقلق تجاه الآت الذي نصنعه بإسقاطاتنا المتفانية في اللّذة والرهبنة.

إن الكتابة هي صوت الوحدة الصارخة في وجه الكاتب ليرجع عن تيهه في عالم الكلمات، ويضع حدا للانحدار في غيابات المستحيل؛ إن هي سوى لحظة عري، وتفريغ لنزعة الشر التي تتقاطعها ثنائية (السيف والقلم) المعبِّرة عن امتداد آثم ليد بشرية ألِفَتْ الإثم والغواية.

2. الكتابة والبحث عن المعنى

بعيدا عن بساطة الطرح المباشر لمفهوم الكتابة عند أبي العباس القلقشندي على اعتبار أنها إحدى الصنائع بقوله: «... والكتابة إحدى الصنائع.. فمادتها الألفاظ التي تخيلها الكاتب في أوهامه وتصور من ضمِّ بعضها إلى بعض صورة باطنة تامة في نفسه بالقوة والخط الذي يخطه القلم ويقيد به تلك الصور..."[9]، فإنه لا يمكن - وهي رغبتنا الملحّة- أن تكون الكتابة سوى ملجأ للضمير الفار من موت الضمير، أو منفى للروح المتألمة من شدة خدمتها لرغبة الآخر؛ ففي أفق الكلمات تلتقي المنافع الوجودية لذواتنا الهاربة، وفي البحث عن تقاطعات المعنى، تطفو قدراتنا المزيفة على التأويل المفخَّخ لقيود الصورة البلاغية الممجِّدة للعبث اللامتناهي في استعمال لغة التردد. إننا دوما نسعى للحصول على طريقتنا الراقية في التعبير عن مظاهرنا الفلكلورية التي تعكس إرادتنا الفائقة في إبداع أكبر قدر ممكن من الخرافة، والأسطورة، وتعطشنا المفرط للهيمنة والتسلط.

إننا لا نتوقف عن استعارة الأفكار، ونظل نطفو على سطح اللغة بحثا عن الكلمات التي تأخذنا إلى الأعماق، ليس لأن المعاني مطروحة في الطريق، كما أراد لها الجاحظ أن تكون، بل لأن معرفتنا السطحية وعجزنا عن ملامسة ما يلائم عقولنا جعلتنا نتوارى خلف غبار الكلمات بحثا عما يطفئ قلقنا، ويزيل حيرتنا الوجودية تجاه المعنى المفقود.

مع التواصل يبدأ قانون الحجاج، وتبدأ المواجهة بين الذكورة والأنوثة في ساحة القول؛ ليقف شبح الانتصار منتصبا يطاول كل قول خاضع للشفوية والتقاليد؛

فصورة المرأة تمثل الوجع المعذِّب للرجل، لأن قوتها تكمن في التجاهل اللذيذ لما يقوله الرجل، بما أنها تستأثر دوما بالكلمة الأخيرة.

كل نص هو موضوع لاستهانة أبدية لفعل التأويل الخائن لمنطق ملفوظية التفكير المتولد عن انتماء إلى كون ثقافي ثابت. وبين همس القلم ووشوشة الهدوء الصامت، تبحث الكتابة عن روح مفقودة، إنها تبحث عنها في حرفيةِ سيميائيةِ العلامة اللغوية. وتظل الكتابة المؤنسنة للفكر المتوحش في فرار دائم من الصورية الإملائية المعبّرة عن وحدة اللغة، بما أن تاريخها الأول هو تاريخ الشفوية التي تحيا باسم الدين في كلام البشرية وفي ذاكرتها.

"إن حياة الفرد تشبه حياة النص. في كلتيهما فجوات وتعارض وتقدم وتقهقر. فكيف نعيد التوازن...؟[10]

إذا كان الوجود والحياة تأويلا[11]، فإن النص أيضا يكون تأويلا للوجود في اللغة وعبرها[12]. ومن ثم فإن هوية النص تتحدد بهذه الوضعية الأنطولوجية التي يغدو التأويل بمقتضاها، وفي الآن نفسه، محيطا للنص والفعل الذي تقوم الذات به عليه. إن التأويل بهذا المعنى يؤسسه في وجوده قبليا وبعديا.

نشهد على أن عبقرية الكاتب -كما يقول شارل بودلير " التوفيق في كتابة مشهد شعري يعبر عن سحر، وجمال، وإغراء الصورة الحيوانية للإنسان"[13]- هي التي تنقل الصمت والضوضاء إلى عمق تعددية أصوات اللاوعي الجماعي، مع الرغبة المستترة في معانقة الحقيقة الأسطورية، وإنهاء المتوقع للدخول فيما هو واقع. إنها رحلة اعتراف تعبر عن شجاعة تفرض مغادرة الذات وفقدان الآخر، ولذلك فإننا نلجأ إلى التخييل لأنه يساعدنا على رؤية أنفسنا في مرآة يومياتنا.

إن الكتابة التي نسعى للحديث عنها ليست مسألة صياغة لغوية فحسب، بل طريقة في التفكير والتحليل والوجود النصي منه على الأقل، إنها شكل حضور الذات في اللغة والفكر، حضور يقوم على التأسيس لتأويل يعتمد الحرية الذاتية للقارئ في بناء النص، وهي بنقلها مفهوم الذاتية من العلم إلى الأدب جاءت كرد فعل على الهيمنة لمفهوم الوضعية، وسعت إلى تعميمه على مختلف معطيات المعرفة.

أن نكتب يعني أننا نغازل الزمن لحمله على الاستكانة لإرادتنا القاهرة في طي صيرورة الكلام المتصلة والوصول إلى البنية العليا للتيار الحيوي للغة، إنه الصراع

الدائم واللذيذ لإقامة الصلح بين الألفاظ والمقاصد، وبين السعي إلى بناء نموذج كلي والتعبير بلغة ذاتية عن الحياة الباطنية. جوهر التوتر هو أن اللغة وجود مجرد في خدمة الجماعة، بينما تحظى الكتابة بقيمة شخصية بما أنها في خدمة الفرد.

ليست المفردات اللغوية في جوهرها غير تعويض سيء عن المشاعر والأفعال والمعارف. والحق أن الإحساس بالضياع كما أن التعاسة الظاهرة والخفية هما اللذان فكّا عقدة لساننا... ضعف الإنسان هو الداعي إلى وجود فعل الكلام ومضمونه، وتحمل اللغات الإنسانية في مجملها وصمة هذا القصور، لكننا عندما ننظر إلى كل لغة وفق مقياسها الخاص، أي لما نقوّمها باعتبارها تعبيرا عن ضعف الإنسان تسترجع اللغة أمانتها وتستوفي الغرض منها على الدوام.

إننا نطلق العنان لأفكارنا دون مراعاة إن كانت بنية الألفاظ توافق بنية المعاني، وعندما نواجه تعبيرنا المخالف لما أردناه، نهاجم اللغة وننعتها بالقصور وعدم القدرة على الارتقاء إلى مقاصدنا السامية، وواقع الأمر أننا نحن الذين عجزنا عن انتقاء الألفاظ الملائمة للتعبير عما يختلج بداخلنا.

ليست الكلمة صورة للفكرة بل أداة للتعبير عنها، لذلك فإن الانتقال من التصور إلى التعبير اللغوي فعل إبداعي، وهو فعل يتجاوز التصور غير المحدد والدلالات المعروفة في أفق تحديد دلالة مفردات غير محددة الدلالة من قبل، فالعبارة المناسبة لا تنبع من معين التصور، بل نحن مَن ننتجها لنفسح مجالا للتعرف على أفكارنا السابقة بواسطة أشكال لغوية.

إننا ندّعي الكتابة لتقويم مساراتنا التاريخية وتشكيل خصوصياتنا الحضارية؛ نستكشف ذهنيتنا الكامنة في النص الغائب، إننا نصنع المتعة الواعية لنروِّض غرائزنا ونهذبها لمصلحة الفهم الصحيح لسلوكياتنا، ننجز الدلالة وبها نستكشف حدود المعنى المستتر في ثنايا البلاغة، ونسهم في تأسيس وعي القراءة الواعية.

3. الكتابة والمعنى والتأويل

النشاط اللغوي هو قبل كل شيء نشاط اجتماعي، وهو مرتبط بمهمة اجتماعية، ويشمل جملة من المتطلبات الموضوعية المحددة. والكاتب الذي ينتمي بدوره إلى واقع اجتماعي هو والمهمة التواصلية كلاهما يحدد قصدية التواصل، وهو ما يجعل من عملية إنتاج النص تحدث في المستوى العقلي.

لقد أوضح لنا الجرجاني أن الخبر وجميع معاني الكلام معان ينشئها الإنسان في نفسه. وكان يردد أن هذه المعاني النفسية هي معاني النحو وأحكامُه، وهي التي يتعلق بها النظم، إذ يقول: "واعلم أنك إذا رجعتَ إلى نفسك علمتَ علما لا يعترضه الشك، أن لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يُعلَّق يعضُها ببعض، ويبنى يعضُها على بعض، وتُجعل هذه بسبب من تلك. هذا ما لا يجهله عاقل ولا يخفى على أحد من الناس، وإذا كان كذلك فبنا أن ننظر إلى التعليق فيها والبناء وجعل الواحدة منها بسبب من صاحبتها، ما معناه وما محصوله؟ وإذا نظرنا في ذلك علمنا أن لا محصول لها غير أن تعمد إلى اسم فتجعله فاعلا لفعل أو مفعولا، أو تعمد إلى اسمين فتجعل أحدهما خبرا عن الآخر، أو تتبع الاسم اسما على أن يكون الثاني صفة للأول أو تأكيدا له، أو بدلا عنه.."[14]. وقد ذهب بارث إلى أن "... اللغة جملة من المقررات والعادات تشمل كل كُتّاب عصر من العصور، ومعنى ذك أن اللغة مثل طبيعة تمر بمجملها عبر كلام الكاتب دون أن تعطيه مع ذلك أيّ شكل ودون أن تغذّيه: إنها مثل حلقة حقائق مجردة وخارجها فقط تبدأ كثافة القول الوحيدة بالترسب..."[15].

ربما يبدو للبعض، في لحظة وهم، أن هناك مسافة فاصلة بين الكتابة كفعل يتحقق في اللغة وباللغة، واللغة كوسيلة ظاهرة للفهم تعمل على تكريس المسألة التأويلية داخل الخطاب المكتوب، والتأويل متوقف على نوع الاستدلال؛ إلا أن التأويل يمكن أن يقسم إلى قسمين؛ أولهما ما تقوم به اللغة، وثانيهما ما ينجزه الإنسان. إلا أن الحقيقة تختلف عن ذلك تماما؛ إننا نعمد إلى الكتابة لتحقيق الصلة بين الوعي واللغة، ثم نمكّن للقراءة كي تقوم بربط العقل بمختلف الأنساق اللغوية التي تتشكّل وفق تصورات إبلاغية ودلالية.

تقوم وظيفة اللغة أساسا على ما تقدمه من نسيج بلاغي هدفه التأثير والتمكّن في النفس، لأن البلاغة هي "كل ما تُبَلّغُ به قلب السامع فتمكِّنه في نفسه كتمكّنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن.. وهو ما يدل على أن من شرط البلاغة أن يكون المعنى مفهوما واللفظُ مقبولا"[16]، تماما كما تقوم المسندات البلاغية بتنظيم النص في جميع مستوياته التشكيلية للبنية النصية، وهي الفكرة بأن بعض المسندات تعرّفنا بالبنى ذات المستويات العليا التي تقوم على مخططات معرفية

واحدة لدى أغلب القراء. وهذه البنى تنظم النص باعتباره كلا يدير مختلف العلاقات بين الأجزاء، علما أنها بنى منبثقة عن النص وغير خارجة عنه.

غالبا ما تنتظم النصوص من خلال أفكار أساسية، ومنها الفكرة الرئيسية التي تشكّل موضوع النص، وتفسير موضوع هذا النص بواسطة العنوان، أو من خلال جملة استهلالية هو ممارسة لوظائف متنوعة في معالجة النص. كما يشكّل الموضوع المرساة الأولية بالنسبة للقارئ بما أنه يمنحه الاستشعارات لما سيأتي ليتمكن من تحضير المعارف العامة، والمخططات المناسبة.

ويشكّل الموضوع مركزا موحِّدا وبؤرة لدمج الأفكار المعروضة في النص، كما أنه يسمح بالحكم ما إذا كانت هذه الفكرة مناسبة أم غير مناسبة، وما إذا كانت مهمة في تشكيل النص أم لا. وفي حال تعدد الموضوعات في النص الواحد، فإن أفق القراءة الذي يقدمه العنوان، أو يشكّله توجيه ضمني أو ظاهر كل ذلك يقودنا إلى اختيارات متنوعة في تشكيل الدلالة الكلية للنص، وإلى بنيات كبرى متنوعة حسب نموذج فان ديك Van Dijk (1982)، ففهم النص يقتضي بالدرجة الأولى تحديدا صحيحا للموضوع، وكذا انتقاء للمعلومة الملائمة وتنظيما لقاعدة النص بالدرجة الثانية.

عمليا، إننا نقرأ وفق إستراتيجيات نحددها تبعا للموضوع وما يفرضه من استنباطات مؤسِّسة للفهم، كما أننا نخضع في فهمنا لما نسمع من كلام أو خطابات شفوية لسياقات ومواقف تصنعها اللغة والمتحدث. إن أطروحة العمل الأساسية لكل تحليل نصي حسب بول ريكور هي رغم انتماء الكتابة إلى الدائرة نفسها التي ينتمي إليها الكلام -ألا وهي دائرة الخطاب المقابلة لدائرة اللسان- فإن خصوصية الكتابة بالنسبة للكلام الفعلي تقوم على خصائص بنيوية قابلة لأن تدرس كخصائص مشابهة للسان داخل الخطاب. وهي أطروحة مشروعة كاملا، فهي تعترف بأن الوحدات الكبرى للغة، أي الوحدات ذات درجة أعلى من الجمل، تعطي -داخل شروط محددة- تركيبات مشابهة ومقارنة لتركيبات الوحدات الصغرى للغة، أي الوحدات ذات درجة أدنى من الجملة، وهي تشكل موضوع البحث اللساني بالتدقيق[17].

- خاتمة

إننا نمارس اللعبة اللغوية بشيء من المخاطرة، نستعير الألفاظ لنطَّلع على تصوراتنا، ونحن بذلك نشارك في استمرارية الانتهاك بواسطة العدول المؤسِس لفكرة التكييف، تكييف خطاباتنا بحسب المتلقين لنكون فعالين. إنه التطويع المتحايل على المعطى اللغوي، والمتحايل على اللذة الإبداعية، إننا نتيح فرصة للتفاوض مع أنفسنا عبر الكتابة؛ نُقنع ونؤثر في محاولة لا تكل لتعديل سلوك الآخر عبر صناعة القطيعة مع المعهود، إننا نناقض التاريخ من خلال قفزة انفصالية تتجاوز فكرة الزمن الحمقاء، إننا ننشد بناء المعرفة الأسمى، ونحقق للنصوصية وجودها الدال على عمق التجربة الإنسانية الإبداعية.

- الإحالات والهوامش:

[1] إخنباوم بوريس، نظرية المنهج الشكلي، ضمن كتاب نظرية المنهج الشكلي نصوص الشكلانيين الروس، تر: ابراهيم الخطيب، بيروت والرباط، د.ت، ص37.

[2] عز العرب لحكيم بناني، الظاهراتية وفلسفة اللغة، تطور مباحث الدلالة في الفلسفة النمساوية، أفريقيا الشرق، 2003، ص105.

[3] ابن سينا، الإشارات والتنبيهات، تح: سليمان دنيا، دار المعارف، مصر، 1960، ق1، ص259.

[4] E. Benveniste, Problèmes de Linguistique Générale, Gallimard, 1966, p259.

[5] Locke David M, Le pouvoir de la phrase, La Grande anthologie de la science-fiction (Histoires de la 4°ème dimension), Paris, Le Livre de poche n° 3783, Librairie Générale Française, 1983, p. 75.

[6] هانس جورج غادامير، اللغة كوسط للتجربة التأويلية، العرب والفكر العالمي، مركز الإنماء القومي، لبنان، ع3، 1988، ص21.

[7] Ernst Cassirer, Essai sur l'homme, Ed de MINUIT, 1975, p35.

[8] مصطفى ناصف، اللغة والتفسير والتواصل، عالم المعرفة، الكويت، 1955، ع193، ص48.

[9] أبو العباس القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987، ج1، ص36.

[10] I.A. Richards, Mouton, Poetries, Their Media and Ends, The Hague Press, Paris, 1974, P170.

[11] J. Garnier, Le Problème de la vérité dans la philosophie de Nietzsche, seuil, 1966, p304.

[12] Cf. N. Schor, Fiction as Interpretation, Interpretation as fiction, in Suleiman (ed) The Reader in the text, Essays on Audience and Interpretation, Princeton Univ. Press, U.S.A. 1980.

[13] Baudelaire Charles, Les Fleurs du Mal, éd augmentée, Michel Lévy, Paris,1886.

[14] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1984، ص.ص82،81.

[15] رولان بارث، الكتابة في درجة الصفر، تر: محمد نديم خشفة، مركز الإنماء الحضاري، ط1، 2002، ص15.

[16] أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ط1، 1952، ص10.

[17] بول ريكور، النص والتأويل، العرب والفكر العالمي، ع3، 1988، ص44.

- قائمة المصادروالمراجع:

*** المراجع باللغة العربية:**

1. ابن سينا، الإشارات والتنبيهات، تحقيق: سليمان دنيا، دار المعارف، مصر، 1960، القسم الأول.
2. بارث (رولان)، الكتابة في درجة الصفر، ترجمة: محمد نديم خشفة، مركز الإنماء الحضاري، الطبعة الأولى، 2002.
3. بناني (عز العرب لحكيم)، الظاهراتية وفلسفة اللغة، تطور مباحث الدلالة في الفلسفة النمساوية، أفريقيا الشرق، 2003.
4. بوريس (إخنباوم)، نظرية المنهج الشكلي، ضمن كتاب نظرية المنهج الشكلي نصوص الشكلانيين الروس، ترجمة: ابراهيم الخطيب، بيروت والرباط، دون تاريخ.
5. الجرجاني (عبد القاهر)، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1984.
6. العسكري (أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل)، كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، الطبعة الأولى، 1952.
7. غادامير (هانس جورج)، اللغة كوسط للتجربة التأويلية، العرب والفكر العالمي، مركز الإنماء القومي، لبنان، العدد الثالث، 1988.
8. القلقشندي (أبو العباس)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987، الجزء الأول.
9. ناصف (مصطفى)، اللغة والتفسير والتواصل، عالم المعرفة، الكويت، العدد مئة وثلاثة وتسعون، 1955.
10. بول ريكور، النص والتأويل، العرب والفكر العالمي، العدد الثالث، 1988.

*** المراجع باللغة الأجنبية:**

1. Baudelaire Charles, Les Fleurs du Mal, édition augmentée, Michel Lévy, Paris,1886.
2. Cf. N. Schor, Fiction as Interpretation, Interpretation as fiction, in Suleiman, edition The Reader in the text, Essays on Audience and Interpretation, Princeton Univ. Press, U.S.A. 1980.
3. I.A. Richards, Mouton, Poetries, Their Media and Ends, The Hague Press, Paris, 1974.
4. J. Garnier, Le Problème de la vérité dans la philosophie de Nietzsche, seuil, 1966.
5. E. Benveniste, Problèmes de Linguistique Générale, Gallimard, 1966.
6. Ernst Cassirer, Essai sur l'homme, Ed de MINUIT, 1975.
7. M. Locke David, Le pouvoir de la phrase, La Grande anthologie de la science-fiction (Histoires de la 4°ème dimension), Paris, Le Livre de poche n° 3783, Librairie Générale Française, 1983.